مع الدكتور محمد التيجاني

قراءة في التحولات السنية للشيعة

بقلم/ حسن بن فرحان المالكي

الرياض

قبل نحو من خمس سنوات تقريباً اتصل بي أحد الأخوة وأظن اسمه عبد الله بن صالح القرني يطلب مني الرد على رجل تحول من السنة إلى الشيعة يدعى الدكتور محمد التيجاني السماوي.

وكنت يومها أكتب مقالات وردوداً على بعض الرسائل الجامعية في التاريخ الإسلامي في صحيفة الرياض السعودية.

فطلبت من الأخ الكريم معلومات إضافية عن الرجل فأرسل لي أشرطة (كاسيت) فيها لقاء إحدى الإذاعات العربية مع الدكتور التيجاني وسمعت حواره مع المستمعين وكان منفعلاً ومتحمساً وصريحاً وهذه الصراحة أعجبتني في الرجل حتى نتمكن من الحوار معه لأن كثيراً من الأخوة الشيعة يتخاطب معك بلغة (المبشر) وهذه إن أجدت عند أناس لكني من الناس الذين يمقتون التخفي وأحب الصراحة ناصعة بسيطة وأعرف أن صاحبها لا بد أن يلقى متاعب في هذا الزمن الذي غلبت عليه المجاملات والأفكار (المغلفة) برداء من التحفظ (السميك) الذي يمنع الرؤية الواضحة لهذه الفكرة أو تلك.

ثم بعد سنة أو أكثر من اتصال الأخ القرني عثرت على كتب الدكتور التيجاني الأربعة –ولا أعلم له غيرها– وهي: (ثم اهتديت) و (الشيعة هم أهل السنة) و (لأكون مع الصادقين) و (فاسألوا أهل الذكر).

وتدور الكتب كلها حول الدعوة للتشيع المغالي وذم المرحلة (السنية السلفية) التي كان عليها المؤلف.

الكتاب الأول: كتاب (ثم اهتديت) الذي تسبب في ردود أفعال واسعة وسيأتي الحديث عنه بشيء من التوسع ثم نقده.

أما الكتاب الثاني: كتاب (الشيعة هم أهل السنة) في 320 صفحة فعرّف فيه بالشيعة وأهل السنة ثم تحدث عن أسباب تفرق الشيعة والسنة مع التعريف بأئمة الشيعة وأئمة السنة وتحدث فيه عن أسباب انتشار المذهب السني وأرجع ذلك لحكام الجور ثم تحدث عن حديث الثقلين والتقليد والمرجعية وعداوة أهل السنة لأهل البيت ! ! وذكر أبرز أقطاب أهل السنة وتناقض القرآن مع السنة عند أهل السنة، بينما يذكر أن السنة عند الشيعة لا تخالف القرآن ! ! ثم تحدث عن الصحابة عند الشيعة والسنة واختتم الكتاب بنقد كتاب (الشيعة والتصحيح) للدكتور موسى الموسوي.

أما كتابه الثالث: كتاب (لأكون مع الصادقين) فيقع في نحو 250 صفحة تحدث فيه عن القرآن عند السنة والشيعة والعقائد عند الطائفتين أيضاً سواءً في إمامة علي رضي الله عنه وأدلتها ثم اختلاف المذاهب السنية في السنة النبوية والقضاء والقدر ثم تحدث عن الخمس والتقليد وعن العقائد التي يشنع بها أهل السنة على الشيعة مثل العصمة والاثني عشر وعلم الأئمة والبداء والتقية والمتعة والقول بتحريف القرآن والجمع بين الصلاتين والسجود على التربة والرجعة والغلو والمهدي المنتظر.

أما كتابه الرابع: كتاب (فاسألوا أهل الذكر) فيقع في 350 صفحة وفيه ثمانية فصول كل فصل في موضوع (الله، الرسول، أهل البيت، الصحابة، الخلفاء الثلاثة، الخلافة، الحديث الشريف، الصحيحان) وضمن هذه الفصول أشياء كثيرة عن الصحابة والأحاديث السنية التي نقدها ونقد كذلك صحيحي البخاري ومسلم واستخرج نماذج من الأحاديث التي يراها غير صحيحة وقد وردت في كتب السنة وخاصة الصحيحين !

كتاب ثم اهتديت:

أما كتابه (ثم اهتديت) فيقع في 180 صفحة تقريباً وفيها قصة رحلته من اليقين (السلفي الوهابي) إلى اليقين (الشيعي الإمامي) ! !

والكتاب تحدث عن بدايات المؤلف وأنه كان سنياً صوفياً من التيجانية ثم حج لبيت الله الحرام وتأثره بالعقيدة السلفية (التي يسميها الوهابية) ثم عودته إلى تونس داعياً للعقيدة السلفية وناهياً عن (تقبيل الأضرحة والتمسح بالأخشاب)[1] واعتبار ذلك شركاً بالله وتحدث عن نشاطه الدعوي بتونس ثم عودته للحج مرة أخرى وتجديد العهد بـ (الوهابية) ثم رحلته لمصر والتقائه مع عدد من شيوخ الأزهر وزيارته مسجد الإمام الحسين وإذن الرسول (ص) له لرؤية آثاره ! ! أخبره بذلك أحد سدنة المسجد ! ! ورأى قميص رسول الله (ص) في خزانة مسجد الحسين وتأثر من هذا الموقف وبدأ يشك فيما يقوله الوهابيون ! لأنه –كما يقول– (إن كان الشهيد حي يرزق فكيف بسيد البشر؟) وساعده على ذلك تعاليمه وثقافته الصوفية الأولى، وكان هذا بداية (الصراع الداخلي) .

ثم سافر في الباخرة من الاسكندرية إلى بيروت وصادف أستاذاً عراقياً من جامعة بغداد اسمه منعم كان معه على الباخرة وذكر أنه تفاجأ بأن (منعم) هذا شيعي ثم أنكر عليه وعلى الشيعة لكونهم يعبدون علياً ولا يؤمنون بالنبي (ص) ! ! ثم رد عليه الشيعي العراقي وطلب منه أن يعرف المذهب من أهله لا من خصومه ثم مع الحديث مع هذا العراقي تبين لصاحبنا أنه مخطئ في التسرع في الحكم على الشيعة من كتب وأفكار

الخصوم أو من كلام من لا يعرفهم على حقيقة أمرهم، فكانت هذه هي المحطة الثانية من محطات (الصراع الداخلي)[2].

ثم قام الاستاذ العراقي بالتكفل بترتيب زيارة لصاحبنا إلى العراق ولقاء الشيعة على الطبيعة ليعرف حقيقة الأمر بنفسه وكان لمعاملة الرجل العراقي ودماثة خلقه أبلغ الأثر على الدكتور –وهذا ملاحظ وهو حق فالشيعة من أحسن الناس أخلاقاً– .

ثم زار العراق وكانت (الصدمة الكبرى) له برؤية الشيعة في الواقع والتزامهم بالدين مع اتهامنا لهم بالخروج من الإسلام[3] ! ! فعملية (اكتشاف الكذب) من أخطر الصدمات التي تواجه طالب العلم الحر، وهي درس لنا حتى لا نشوه صورة الآخرين سواء كانوا شيعة أو غربا او شرقا وإنما ننقل الحقيقة كاملة بما لها وما عليها حتى لا نفقد مصداقيتنا مع طلابنا وأبنائنا .

فقابل الدكتور التيجاني في العراق السيد الخوئي (من المرجعيات الشيعية) والسيد محمد باقر الصدر وغيرهم من علماء الشيعة وزار كربلاء والنجف وهزته الخطب والمشاهد في كربلاء التي رآها وكأن الإمام الحسين مقتول الساعة –حسب تعبيره– .

ثم عاد إلى الحجاز ولقي بعض الغلظة من حراس الحجرة النبوية خلاف ما وجد في العراق من دماثة الأخلاق فكانت هذه من أسباب ردة الفعل والإحساس بالقرب النفسي من الشيعة والبعد عن السلفية أو الوهابية كما يحلو له أن يسميها، ثم بدأ البحث المتعمق بعد عودته إلى تونس وقرأ كثيراً من الكتب السنية والشيعية ليتأكد

مما قاله الشيعة وصُدم ببعض الوقائع الصحيحة وتابع كتب الشيعة في بعض المبالغات التفسيرية لتلك الأخطاء.

وأكثر من البحث في الصحابة في القرآن وفي السنة وفي آراء الصحابة في بعضهم وشهادتهم على أنفسهم وبقي ثلاثة أشهر بين البحث والتأرجح ثم التحول رويداً رويداً إلى الشيعة ثم مع المناقشة مع بعض العلماء في تونس كان يزداد قناعة لدفاع أولئك العلماء عن بعض الأخطاء الواضحة التي ارتكبها بعض من وصف بالصحبة كمعاوية وغيره ثم أعلن تشيعه واتباعه لمذهب الإمامية لأسباب سنذكرها ونجيب عليها دون تعصب ضد الحقيقة ولا موافقة لما نراه من باطل سواءً ما كان من أدلة حقيقة أو استدلالات لا تنهض لتبرير هذا التحول الكبير.

تطمينات ! !

وحقيقة أود أن أدخل مع الدكتور التيجاني في حوار هدفه الحقيقة لا غير وأؤكد له في البداية عدة أمور لعلها تطمئنه:

1- الانتساب الشرعي للإسلام فقط:

إنني وإن كنت سنياً بل سلفي حنبلي النشأة والتعليم والتلقي إلا أنني لا أقلد بل ولا أرى شرعية الانتساب إلا للإسلام فقط وهناك فرق كبير بين (الانتساب الواقعي) و (الانتساب الشرعي) .

فالانتساب من حيث الواقع والنشأة والمصادر لا ضير فيه كالانتساب القبلي والمدني والمدرسي والمذهبي فتقول أنا حنبلي انا شافعي مثلما تقول أنا مكي أنا دمشقي .

أما الانتساب الشرعي فهو ملزم وهو للإسلام فقط وقد نص عليه الله عز وجل في القرآن الكريم (. . هو سماكم المسلمين من قبل. .) (واشهدوا بأنا مسلمون) (وأنا من المسلمين. .) (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقل منه. .) .

فهذا الانتساب واجب على كل مسلم ومن رفضه كان مرتداً .

وهكذا كان انتساب الرسول (ص) وصحابته والتابعين بإحسان فلم يكن في عصر النبي (ص) ولا عصر الصحابة ولا القرن الأول انتساب إلا للإسلام وكان الناس في عهد النبي (ص) أربع طوائف وهم: المسلمون والمنافقون وأهل الكتاب والكفار الوثنيون.

ولم يكن النبي (ص) يسمي أصحابه (أهل السنة) ولا (الشيعة) ولا (المعتزلة) كل هذه التسميات والانتسابات المستحدثة إنما ظهرت مع الاختلافات المذهبية والعقدية وليس لها شرعية (إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان. . .) .

وكان للدول ذلك الدور السياسي الداعم للمذهب أو المحارب له فالدولة الأموية حاربت المعارضة الشيعية والخارجية (نسبة للخوارج) وبقي الحال في الدولة العباسية والعثمانية –على قلة من الحكام كانوا يميلون للتشيع المعتدل كالمأمون العباسي وعمر بن عبد العزيز الأموي– وهذه السياسات المتلاحقة في محاربة المعارضة –وأكبرها المعارضة الشيعية– أدت إلى غلو في تيار السنة نتيجة القوة، وغلو في تيار الشيعة نتيجة الاضطهاد، وكان للصفويين والبويهيين استغلال للمذهب الشيعي فإذا تنبهنا للغلوين أمكننا رؤية الاعتدال أما من يتنبه لغلو ويغفل عن آخر فهذا ما أخشاه على نفسي وعلى إخواني الباحثين من سنة وشيعة.

فالسنة والشيعة اليوم يحملان هذا التاريخ (الخصومي) الذي نتج عنه هذا التراث الضخم المتضاد والمتلاعن، فالتراث السني لا يقبل الشيعة والتراث الشيعي لا يقبل السنة وكلما كان الشخص مغالياً سواءً كان سنياً أو شيعياً كلما اكتسب المدائح والثناءات وحصل على الوظائف والأموال وزين له الشيطان والأتباع سوء عمله فضعف لهذه الوساوس (وخلق الإنسان ضعيفا)!!.

نحن اليوم نريد من عقلاء الفريقين أن يدركوا ما عمله (التاريخ) في هذا (التراث) بل ما عمله التاريخ في هذا (الإسلام) الذي أصبح اليوم (إسلامات) متحاربة ومتنافية كل يدعي (إسلاماً) مغايراً للآخر.

ونحن نرى أن الإسلام يتسامى عن المذاهب و يمكن أن يقوم في النفس والسلوك بلا اتخاذ موقف من أبي بكر ولا علي رضي الله عنهما، بمعنى أن الرجل السني أو الشيعي يستطيع أن يؤمن بالله واليوم الآخر ويحسن عمله وأخلاقه ويجتنب المحرمات دون الحاجة لموقف من التاريخ.

وهذا لا يعني ترك دراسة التاريخ وإهمالها على من يستطيع العلم والإنصاف ولكن يعني ألا ننشغل بالتاريخ ونجعله مقياسا للولاء والبراء ونشغل المسلمين عن الواجبات الكبرى سواءً كانت فردية أو جماعية.

وإنما الواجب أن نجتمع حول الأصول العامة للإسلام بمعنى أن نحدد (الاتفاقات الكبرى) من أعلى الهرم نزولاً، فنبدأ بالقول بأن: ربنا واحد، وديننا واحد، ونبينا واحد، وقبلتنا واحدة، وكتابنا واحد، ونؤمن باليوم الآخر، والجنة والنار، ونؤمن بوجوب أركان الإسلام الخمسة –دعك من اختلاف التفاصيل– نؤمن بتحريم المحرمات كالخمر والسرقة والزنا والغش والكذب... ونؤمن بوجوب الصدق والعدل والأمانة... فهذا هو (الإسلام الصافي البسيط) الذي كان النبي (ص) يعلمه الأعرابي ويقول له (أفلح إن صدق).

هذا هو الإسلام الذي يجب أن نلتف حوله وندعو له ونتآخى فيه ونتعاون ويلتقي عليه اليوم كل الطوائف سواءً الشيعة أو النواصب أو السنة أو الاباضية أو الزيدية أو غيرهم من طوائف المسلمين، وكل هؤلاء بينهم (اتفاقات كبيرة) تحتاج لتوظيف على أرض الواقع ولا نسمح للجزئيات أن تنسف تلك الاتفاقات على الأصول العامة للإسلام.

وأقول للشيعي وللسني:

ليس أخوك –الذي ترى أنه مبتدع– أسوأ من المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار ومع هذا كان النبي (ص) يعاملهم معاملة المسلمين فيصلون معه ويغزون معه ويحجون ولم يعاقب من آذاه منهم خشية أن

(يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) وكذلك كان الإمام علي لا يحرم الخوارج حقوقهم رغم تكفيرهم له وهذا أبلغ من النصب.

ونحن اليوم نخشى أن يتحدث الناس أن المسلمين (يحارب بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم بعضاً ويبدع بعضهم بعضاً) فأصبح الكافر إذا أسلم تسابقت عليه هذه الفرق حتى يشك في الإسلام وقد يرتد ! ! ولو أننا علمناه (الإسلام) ولم نعلمه (التاريخ) لكن هذا كافياً ومؤيداً إلى فلاحه (إن صدق).

2- ناصبي في صنعاء زنديق في مكة ! !

أطمئن الدكتور التيجاني أيضاً بأنني من محبي الإمام علي بن أبي طالب واهل بيته و متهم بالتشيع والنصب معاً ! ! متهم بالتشيع من غلاة السلفية ومتهم بالنصب من غلاة الشيعة فلا ينتظر مني الدكتور سباً ولا شتماً ولا تبديعاً ولا تكفيراً.

وأنا أتعاطف مع كلمة قالها الإمام المقبلي رحمه الله -وهو من علماء القرن الحادي عشر الهجري- وكان من علماء صنعاء ثم عارضه غلاة الزيدية واتهموه بالنصب مع أنه يفضل علياً على جميع الصحابة ويذم معاوية فرحل هرباً من غلاة الزيدية إلى مكة فوجدها تغلي بالأشعرية والنصب فاتهموه بالزندقة فقال: (سبحان الله؛ ناصبي في صنعاء زنديق في مكة) ! !.

وكانت لي –أنا كاتب هذه السطور– قصة مشابهة أثناء زيارة علمية سياحية لليمن في بداية هذا العام وتعمدت أن أزور بعض علماء الزيدية في صنعاء وصعدة وضحيان لأرى الزيدية على أرض الواقع وكان في أكثرهم اعتدال كبير بل وجدت بعض علماء الزيدية لا فرق بينهم وبين علماء السنة المنصفين لأهل البيت كالنسائي وابن عبد البر وعبيد الله بن موسى شيخ البخاري وعبد الرزاق الصنعاني شيخ الإمام أحمد وغيرهم، لكن أحد المغالين منهم لم يعجبه دفاعي عن أهل الحديث والسنة فأخذني على انفراد وقال لي: (ظنناك على مذهبنا –يعني الزيدية– فإذا أنت تردد أقوال النواصب والوهابية ! !) .

فقلت سبحان الله: (زيدي في الرياض وهابي في صعدة) ! ! وصدق المقبلي ! !

فأنا –يا أخي– متخاصم مع غلاة الفريقين من سنة وشيعة فإخواني من السنة يتهمونني بالتشيع الخفيف التي تعني عندهم الزيدية وبعضهم قد يضيف بعضهم لهذا الاتهام بهارات هندية حارة ويتهمني بالرفض ! !

بينما بعض الأخوة الشيعة من الإمامية أو الزيدية يقولون بأنني ناصبي ما دمت معتمداً على المصادر السنية وواثقاً فيها وهي مصادر ناصبية حسب آرائهم وأنا سعيد بتناقض الإتهامات التي تدل على البراءة .

3- إنصاف السنة:

وأطمئن الدكتور أيضا إلى أن أهل السنة المعتدلين فيهم إنصاف وعدل ظاهر بينما أترك لك تقييم العدل الإمامي مع المهاجرين والأنصار ؟

والدليل على إنصاف جماعتنا أنه بأحاديثهم (اهتديت أنت) ؟ ولولا نقلهم لأخطاء الصحابة لما وثقت في ماقاله لك الشيعة باعترافك ؟

وبمنهجهم قد صحت أحاديث مهمة في فضائل الإمام علي فتواتر منها حديث المنزلة وحديث الراية (حديث خيبر) وحديث غدير خم . .

وصحت أحاديث أخرى لم تتواتر كحديث (لا يحب علي إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق) في صحيح مسلم وحديث الطير –ولي فيه بحث خاص– وحديث المؤاخاة –لي فيه مبحث أيضاً– ونحوها ، وحديث المباهلة وحديث خاصف النعل وحديث مدينة العلم وحديث السقاية وحديث النجوى وغيرها –كل هذه بحثتها بنفسي– وبعضها صححه بعض أهل السنة لكنه ضعيف مثل حديث رد الشمس وحديث الخاتم وحديث السفينة، كما ورد في كتب السنة كثير من مظالم بني أمية في حق أهل البيت وغيرهم مع إدانة وتعاطف ظاهر ، دعك من علماء الشام وبعض غلاة الحنابلة فليسوا مقياساً على السنة كما أن الإخبارية من الشيعة ليسوا مقياساً على كل الشيعة .

الأسباب العامة:

وبداية لا أحب أن أحمل الأخ الدكتور التيجاني كل المسئولية في هذا التحول الحاد وسأبدأ بذكر الأسباب العامة في هذا التحول التي يتحملها الطرف السني من مجتمع ومصادر ومراجع ومواقف ثم أذكر الأسباب الخاصة التي يتحملها التيجاني نفسه ولا نعذره فيها وسأنصفه –إن شاء الله– فيما أصاب فيه .

1- كثرة الأحاديث الضعيفة:

من أسباب الاختلاف أو التحول المذهبي كثرة الأحاديث عند السنة فوجد الشيعة في مصادر السنة أحاديث كثيرة ضعيفة أو موضوعة اعتبروها حجة على السنة بحكم وجودها في مصادرهم ! ! وهذه مغالطة لأن أهل السنة والحديث أنفسهم لا يقرون بكل ما ورد في مصادرهم من أحاديث وكتب أهل الحديث أو أهل السنة مجمعات كبيرة للأحاديث الصحيحة والضعيفة والمكذوبة ولعل الضعيف والمكذوب أكثر بكثير من الصحيح.

وأغلب المتحولين من السنة إلى الشيعة –فيما أطلعت عليه- عندهم ضعف في علم الحديث وعلل الأسانيد والمتون فلذلك تكثر في مؤلفاتهم الأحاديث الضعيفة والموضوعة وينطلقون من مسلمة غير مسلم بها وهي أن كل حديث رواه أهل السنة في فضائل أهل البيت فهو صحيح لأنهم خصوم لأهل البيت ! ! وهذا غير صحيح على إطلاقه.

2- الصورة الذهنية الخاطئة عن الشيعة:

ومن الأسباب العامة الرئيسة في تحول الدكتور التيجاني وغيره من السنة إلى الشيعة الصورة الذهنية الخاطئة عن الشيعة التي صورناها تصويراً مشوهاً بتعميم يخالف الحقيقة فعندما يأتي الدكتور التيجاني إلى الشيعة الذين ينشر غلاة السنة بأنهم –أي الشيعة- إنما يعبدون علياً ! ويزعمون أن جبريل أخطأ ! وأنهم يريدون الكيد للإسلام من باب التشيع ! وأنهم يمتلكون مصاحف أخرى غير مصاحفنا ! وأنهم حاقدون على

الإسلام ويتزاوجون سفاحاً... غير ذلك من التشويهات بل الافتراءات التي قد تزيد شباب السنة شكوكاً إذا اكتشفوا الحقيقة وإذا فقدوا الثقة في علمائهم وباحثيهم فلا ينتظر منهم العلماء إلا هذا التحول الحاد والشك بالمنظومة السنية كلها بل والحقد على هذا التواطؤ في الكذب والتشويه والتعميم فهذه من الأسباب العامة التي يتحملها المجتمع السني الذي يجب عليه أن ينقل الصورة كاملة،

نعم الشيعة الإمامية يذمون الصحابة الكبار وأكثرهم على تكفيرهم أو تفسيقهم،

نعم الشيعة الإمامية فيهم من يعتقد تحريف القرآن لكنهم قلة والأغلبية الساحقة من الشيعة يردون على هؤلاء، فالتعميم ابن التشويه،

نعم الشيعة الإمامية يعتقدون عصمة الأئمة الاثني عشر ويعتقدون أن آخرهم لا زال حياً وهو المهدي المنتظر،

نعم الشيعة مجمعون على إباحة المتعة والقول بالتقية عند الحاجة والتبرك... الخ.

فهذه الأمور ونحوها لو قلناها للتيجاني قبل ذهابه إلى العراق لم يتفاجأ بالفرق الواسع بين الصورة الذهنية التي رسمناها في عقله والصورة الحقيقية التي رآها وهذا التناقض استفزه ليحقد على التواطؤ على التشويه السني للشيعة.

وقد كرر في كتابه هذه المقارنات بين هاتين الصورتين، وللأسف أن هاتين الصورتين لا زالتا تعملان في كثير من أبناء السنة ويصطدمون بواقع الشيعة ولو ركزنا على الأخطاء الحقيقية وباعتدال لما حصلت هذه الصدمات التي يفقد معها أبناء السنة الثقة في شيوخهم وباحثيهم.

3- الغلو في الصحابة:

الجانب السني المتأخر –بعد القرون الثلاثة الأولى إلى اليوم– أصابته ردة فعل من غلو الشيعة في ذم الصحابة فقام أهل السنة وغلو في جانب الصحابة ونقلوا الآيات والأحاديث التي تحمل الثناء ولم ينقلوا الآيات والأحاديث التي تنقل العتب بل والذم في بعض المواقف فالنظرة القرآنية للصحابة تختلف عن النظرتين الشيعية والسنية.

وكذا النظرة الحديثية والصحابية والتابعية والواقعية، أصبح المسلم بين غلو في الصحابة وغلو في القرابة أو ذم للصحابة وذم للقرابة، وخلط للسابقين بالطلقاء وأصبح غلاتنا يتحرجون جداً من وصف أحد الصحابة بأنه أخطأ أو ضعف أمام الدنيا وما شابه ذلك مع أن الله عز وجل عاتبهم في كثير من الآيات فعندما ذهب التيجاني للعراق كانت الصورة الذهنية عن الصحابة صورة تشبه عقيدة الشيعة في الأئمة الاثني عشر الذين يعتقدون فيهم العصمة فلذلك تفاجأ عندما اكتشف خطأ عمر في تحريم متعة الحج أو خطأ عثمان في الإتمام في الصلاة بالحج أو إعطائه بعض أقربائه الولايات والأموال ...الخ.

فانهارت عنده هذه الصورة المبالغ فيها وهذا خطأ أدى إلى هذه الصدمة.

كما أن الجانب السني –للأسف -وجدت فيه ردة الفعل وأصبح من يرى علياً أولى بالخلافة مبتدعاً عندهم حتى وإن أقر بشرعية بيعة أبي بكر وقال بفضله وأحبه ونشر فضائله ...الخ.

ثم لحقت ذلك مسألة (التفضيل) ورتبوا الخلفاء الأربعة في الفضل حسب الترتيب في الخلافة وأصبحت ردة الفعل السنية هذه هاجس أهل السنة من زمن مبكر حتى وجدنا الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه يقول في غزوة بدر (وشهدها النبي (ص) ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي) ! ! فما الداعي للفظة (ثم) هنا ! ! مع أن عثمان لم يشهدها أصلاً وإنما عده النبي (ص) في أهل بدر لكونه كان معذوراً في تمريضه زوجته رقية

بنت النبي (ص.(

فتعبير البخاري يدل على سكون هاجس (التفضيل) في نفوس كبار أهل السنة وكأن البخاري خشي لو لم يذكر لفظة (ثم) الدالة على الترتيب مع التراخي ! ! ستؤدي إلى تنقص من أبي بكر وعمر بل وعثمان الذي لم يشهدها حقيقةً وإنما ألحق بالبدريين لعذره ! ! ثم أن الإمام علي كانت له في بدر وغيرها اليد الطولى وأجمع أهل السير والمغازي على أنه أكثر الصحابة فتكاً في الكفار وخصوصاً (بدر) إذ قتل نحو الخمسة عشر رجلاً ولم يقتل أبو بكر وعمر –مع فضلهما– إلا رجلاً واحداً في بدر قتله عمر واسمه العاص بن وائل وهذا لا يعني انتقاصاً لأبي بكر وعمر ولكن لنوجه لسائر المنصفين رسالة إلى أن (الانصاف السني) موجود أيضاً ومسألة التفضيل برمتها من المسائل الفرعية الثانوية التي لا يجوز أن نبني عليها تبديعاً ولا تكفيراً حتى وإن غلا بعض سلفنا وزعم أن فضل علياً على عثمان فهو رافضي ! ! وهذا يعني أن نصف الصحابة تقريباً روافض ! ! فقد كان نحو الثلث منهم يفضله مطلقاً (راجع ترجمة الإمام علي في الاستيعاب لابن عبد البر وما ذكره من تفضيل بعض كبار الصحابة للإمام علي.(

أنا بهذا التوازن أريد أن ألقي العتب على الدكتور التيجاني وأقول له: لماذا كل هذا التحول الحاد ؟ !

-4حصر السنة في الغلو السلفي:

من أسباب الإنفلات عن المذهب السني أن أهله غلب عليهم الغلاة في الأزمنة المتأخرة الذين أصبحوا يضيقون السنة ويحصرونها في خصومات أسلافهم من العلماء.

وكذلك غلاة السنة أو متعصبة السنة كغلاة الشيعة لا يأتي غلوهم إلا من ضعف في علل الحديث فتجد عقيدة الواحد منهم مبنية على حديث ضعيف أو فيه خلاف.

وتجدهم بحديث واحد مختلف فيه يضربون به أصول الإسلام الجامعة من أركان الإسلام وأركان الإيمان

واجتناب المحرمات وفعل الواجبات كل هذا أصبح لا قيمة له إذا كان الفرد أشعرياً أو إباضياً أو شيعياً أو صوفياً . . .الخ، وهذا (الضيق) من (حصر السنة) الواسعة في الانتصار (لخصومات مذهبية) كان من أكبر العوامل المساعدة للتفلت من هذه (السنة) التي أصبح المتفلتون يتفاخرون بهجرها ! !، ويقولون إذا كانت (السنة) عندكم هي (التجسيم) و(تبرير (بغي معاوية وفجور يزيد وظلم الحجاج! ! فأنا أول متبرئ منها، ويساعده في ذلك أيضاً أن غلاة السنة لهم الصوت الأقوى داخل الوسط السني (السلفي) على وجه الخصوص فلذلك لا نستغرب هذه الانحسارات عن السنة إلى مذاهب أخرى شيعية أو إباضية أو تكفيرية. . .الخ.

وسيبقى الغلو السلفي من أكبر الأمور المساعدة على الانتقال الحاد إلى الشيعة ما لم يسارع عقلاء السلفية بنقد الغلو داخل التيار السلفي نفسه ذلك الغلو المتمثل في كثرة الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي نشد بها المذهب!!

وكثرة التكفيرات المخالفة للمنهج النظري لتكفير أبي حنيفة والأحناف وتكفير الشيعة والجهمية والمعتزلة..

نعم يمكن تخطئة هؤلاء أو أفرادهم والرد عليهم لكن التكفير له ضوابط وموانع يجب مراعاتها من جميع الأطراف سلفية كانت أو شيعية أو إباضية أو زيدية. . .الخ.

التكفير بل والتبديع الظالم لا يزيد الأمة إلا تفرقاً وتشرذماً لأن جميع الفرق بلا استثناء قائمة على الظلم –ظلم الآخر والافتراء عليه والمبالغة في إطراء الذات ودعوى امتلاك الحقيقة المطلقة..

-5الغلو في دعوى الاجتهاد:

وهذه من أسباب نفرة التيجاني عن المذهب السني إذ لحظت أن التيجاني أخذ يسخر من زعمنا بأن معاوية اجتهد وهو مأجور على قتال علي وقتل الصحابة وقتل حجر بن عدي وسب علي على المنابر واستلحاق زياد ومخالفة الأحاديث و. . .الخ. وأن يزيد مأجور على قتل الحسين واستباحة الحرة . . .الخ .

وحقيقة أن هذا ليس رأي السنة المتقدمين إنما رأي من تلبس باسم السنة من النواصب أو ممن أخذته ردود الأفعال وإلا فليس هناك صحابي ولا تابعي ولا أحد من علماء القرن الأول والثاني يزعم أن معاوية أو يزيد مأجوران على أخطائهما التي ذكرها التيجاني ولو كان المقام يتسع لذكرت النصوص السنية التي تنكر على معاوية ويزيد تلك المظالم.

6-قسوة بعض أهل السنة مع المؤلف سواءً في الحج أو مصر فقد أثرت فيه بعض تلك التصرفات غير المسئولة وكان من المفترض أن يتوازن ولا يستجيب للغضب، فردة الفعل المبنية على السخط والغضب علمية ولا دينية، ثم هؤلاء الذين أغضبوه لا يمثلون السنة.

7-ومن الأسباب العامة إغفال أهل السنة المعاصرين لتراجم أئمة أهل البيت كالباقر والصادق والكاظم وزيد بن علي وعيسى بن زيد والنفس الزكية وغيرهم، فالتيجاني تفاجأ بهؤلاء الأئمة الذين لا يكادون يذكرون في مدارسنا وجامعاتنا ولا مراجعنا الحديثة ثم يفاجأ بعلم هؤلاء وفضلهم وشرف بيتهم، وظن أن الأمر مبيت ومدبر، بينما هو ردة فعل لا غير مع جهل أيضاً وهذا ننكره ونطالب بوجود تراجم لهم مثلهم مثل غيرهم من العلماء والصالحين بلا تقديس ولا إدعاء عصمة.

8-إغفال أدلة الإمام علي وفضله وخطأ مخالفيه كأهل الجمل وصفين والنهروان مع وجود الأدلة السنية الصحيحة في تصويب الإمام علي وتخطئة هؤلاء لكن التخطئة لا تستلزم التكفير، وكتب السنة كالصحاح مليئة بالأدلة المصوبة لعلي كحديث عمار تقتله الفئة الباغية وحديث الحوأب وحديث الزبير تقاتل عليا وأنت له ظالم وحديث الناكثين وغير ذلك وقد صحح علماء السنة هذه الأحاديث، لكن وجودها في المراجع المعاصرة قليل نظراً لردة الفعل فقط.

هذه أبرز الأخطاء العامة التي تسبب فيها المجتمع السني.

أخطاء الدكتور التيجاني الخاصة:

أما الأسباب الخاصة في تحول الدكتور التيجاني من السلفية الحادة إلى الإمامية الحادة فيمكن أن أرجعها إلى عدة أسباب رئيسة يتحملها الدكتور نفسه وندعوه لمراجعتها والتأمل فيها وهي في نظرنا المتواضع كالتالي:

-1الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة:

مثل حديث (إن هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا) ص148.

أقول: صحت المؤاخاة وأما الوصية فمختلف في صحتها وإن صحت ففيها خلاف هل هي خاصة –كما يرى الشوكاني– أو عامة كما يرى الإمامية أما (خليفتي) والأمر بالسمع والطاعة فضعيف جداً لم يصح حتى وإن وجد في بعض المصادر السنية التي تجمع الغث والسمين.

وكذا حديث)من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي فليوال علياً من بعدي وليوال وليه وليقتد بأهل بيتي من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي) ص161.

أقول :الحديث ضعيف جداً أو موضوع وغير ذلك من الأحاديث التي استدل بها الأخ التيجاني مكتفياً بنسبتها إلى بعض مصادر أهل السنة وهذا خطأ وانتقائية لا يرتضيها منصف لأن المخالف له يستطيع أن يستخرج أحاديث ضعيفة في طاعة أبي بكر أو عمر أو عثمان...

وهناك بعض الأحاديث المختلف فيها، لكن الأخوة الشيعة يوردون في هذا الباب أهوالاً من الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي لا يجوز أن ننسبها إلى الرسول (ص (وينقلونها من كتب بعض علماء السنة المتوسعين في ذكر الأحاديث الضعيفة والموضوعة كابن عساكر في تاريخ دمشق، وهذه مغالطة وقع فيها كبار علماء

الإمامية بل لا يكاد يسلم من ذلك عالم من علماء الإمامية وكذا بعض علماء الزيدية يقع في هذا الخطأ.

وعملية الحكم على الحديث تحتاج لمعرفة عملية تدوين الحديث وتاريخه وجمع طرقه والمقارنة بينها وهل نقل باللفظ أو المعنى والظروف المحيطة، في فلسفة طويلة لا يتسع لها المجال، ومن قرأ بعض كتب العلل (علل الحديث) عرف أهمية معرفة هذه الأمور حتى لا نقع في الكذب على النبي (ص) ولا نرد أحاديث النبي (ص.(

فهذا موضوع يطول وربما لو بحث لقلل الاختلاف كثيراً لأنه سينقل كثيراً من الأحاديث من القطعية إلى الظن سواءً ظن الثبوت أو ظن الدلالة وعلى سبيل المثال حديث)علي وليكم بعدي) الذي كرره الدكتور التيجاني كثيراً وهذا الحديث صححه بعض علماء الحديث ومنهم الألباني، صححوه هكذا دون ذكر مناسبته وظاهره المجرد من ذكر المناسبة يخدم القول بالنص عند الشيعة إذ يدل على الإخبار أو الأمر في صيغة الخبر! ! لكننا علمنا أن الأول ممتنع لعلمنا بأن هذا لم يحدث وأن النبي (ص) لا يقول إلا حقاً.

والثاني: (الأمر في حقيقة الخبر) ظاهره صحيح لكن مع البحث –وكان الحديث قد أشكل عليَّ- وجدت أن الحديث له مناسبة وهي ولاية الإمام علي على اليمن فكان أن اشتكاه بعض أصحابه إلى النبي (ص) فقال للشاكي واسمه بريدة بن الحصيب (علي مني وأنا منه وهو وليكم بعدي.(

فمناسبة الحديث بينت أن المراد ولاية خاصة آنية وهي ولاية اليمن لا الخلافة فالنبي)ص) أنكر على الذين اشتكوا علياً وأمرهم بطاعته لأنه وليهم بعد النبي (ص (أي على اليمن، ويكفي في المناسبة أنها نقلت الحديث من القطع الدلالي إلى الظني والحديث آحاد أيضاً وليس متواتراً.

وكذلك حديث)لا يؤدي عني إلا أنا أو علي) وقد كرره الدكتور التيجاني في كتبه وهو صحيح عند كثير من علماء الحديث لكن صححه بعضهم دون ذكر للمناسبة وعند جمع طرق الحديث من مصادره تبين أن مناسبته كانت في حجة عام 9هـ قبل حجة الوداع وكان النبي (ص) قد بعث أبا بكر بسورة براءة ثم بعث

علياً ليأخذها من أبي بكر ويبلغها ليتلوها على الحجيج في منى وكان يومئذٍ –يحج الكفار مع المسلمين– قبل حجة الوداع، فليس المقصود في الحديث أنه لا يؤدي عن النبي (ص– (في العلم مطلقاً– إلا علي وإنما عرفنا خصوصية هذا الحديث بالمناسبة عندما جمعنا طرق الحديث.

-2استدلاله بأدلة صحيحة لكن الدلالة ضعيفة :

مثل استدلاله بالآية الكريمة (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين.(

فهذه الآية الكريمة تحذر الصحابة وغيرهم من الردة أو التقهقر والتخاذل فكيف يستدل بها الأخ التيجاني بقوله: (فهذه الآية الكريمة صريحة وجلية في أن الصحابة سينقلبون على أعقابهم بعد وفاة النبي (ص) مباشرة ولا يثبت منهم إلا القليل.[4](

أقول: نزلت هذه الآية يوم أحد تحث المسلمين على الثبات إذا حصل للنبي (ص) مكروه لأن محمد (ص) ما هو إلا بشر رسول والهدف عبادة الله وحده فإذا مات الرسول (ص (أو قتل فلا يجوز أن يكون هذا مبرراً للردة، هذا بكل اختصار هو المعنى.

على أن بعض المفسرين فسر قوله (انقلبتم على أعقابكم) أي رجعتم القهقرى، والآية –على أقل تقدير– ظنية الدلالة على ما يقول الدكتور وليست قطعية ويخالفها آيات أخرى قطعية في وعد المهاجرين والأنصار بالجنة والثناء عليهم ...الخ.

وكذلك ما ذكره في آية الجهاد وآية الخشوع (ص102،101.(

-3الإلزام بالظني:

مثل حديث رزية الخميس (فهو لا يدل صراحة على أنهم علموا أن النبي (ص) سيولي علياً (مع اتفاقي مع

الدكتور التيجاني على أن الواجب كان في الاستجابة لطلب النبي)ص) وأن عمر أخطأ في قوله (يكفينا كتاب الله.(

ولا بد للدكتور من التفريق بين الظني والقطعي فالظني فيه رحمة للمسلمين سواءً ظني السنة أو ظني الشيعة أما القطعي من أصول الإسلام فقد ذكرناه، وكذا القطعي من فضل الإمام علي وأهل البيت كالقطعي عندنا السنة في فضل أبي بكر وعمر)ومسألة التفضيل مسألة فرعية ثانوية.(

وكذلك حديث غدير خم (وهو حديث صحيح بل متواتر) لكن دلالته غير قطعية ويزيد فيه بعض الرواة الضعفاء زيادات تفيد القطع لكنها لم تصح من ناحية الإسناد، والذي صح فيه قوله (ص) (تركت فيكم ثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي) وقوله فيه (فمن كنت مولاه فعلي مولاه) فهذا متواتر، أما قوله (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) فهو صحيح فقط ولم يتواتر، وأما الزيادات (وانصر من نصره واخذل من خذله) فهي حسنة لغيرها، لكن الزيادات الضعيفة غير المقبولة هي (وهو خليفتكم من بعدي) فهذه ضعيفة جداً أو موضوعة ولم ترد إلا من ضعفاء الشيعة.

فكنت أتمنى من الدكتور أن يفرق بين الصحيح والضعيف، ثم يفرق بين قطعي الدلالة وظني الدلالة وضعيف الدلالة. . الخ وكلما قلَّ القطعي كلما التقى المسلمون واتفقوا وكلما توسعنا في المزاعم (القطيعة) كلما تفرق المسلمون.

-4إغفال أخطاء الشيعة:

مما وقع فيه الدكتور التيجاني أنه أغفل غلو الشيعة وكثر أحاديثهم الضعيفة والموضوعة المصادمة للنصوص القطعية أو البراهين العقلية أو النقل المتواتر فالقول بتحريف القرآن يقول به بعض الإخبارية من الشيعة إن لم يكون كل الإخبارية وقد قرأت كتاب (الأنوار النعمانية) وفيه القول بالتحريف صريحاً وأنا أعرف أن الدكتور

وأغلب الشيعة لا يقولون بهذا، لكن ذكر هذا وذمه من علامات الإنصاف، حتى ولو لم يقل به إلا قلة من الشيعة.

وكذا إنكار الرجعة والزعم بأن هذا الكون وذراته تخضع لإرادة الأئمة وأن تربة قبور الأئمة فيها الفضل والشفاء من كل داء ...إلى آخر ما هو موجود في بعض كتب الشيعة –وأقول بعض حتى لا أعمم– كنت أود من الدكتور التيجاني أن يبدو مستقلاً باحثاً حراً لا يخضع لسنة ولا لشيعة وإنما يخضع للدليل الشرعي والبرهان العقلي .

-5ومن أخطاء الدكتور التيجاني عدم الاطراد:

فهو يورد حديثاً في ذم الصحابة ويخرج منه من يشاء كما فعل في حديث الحديبية إذ بالغ في ذم تأخر الصحابة في تنفيذ أمر النبي (ص) بتحليق الرؤوس مع أن الإمام علي يبدو أنه كان من هؤلاء لأنه لم يرد نص يستثني علياً ولا غيره فما الذي أخرجه من الذم أو العتب العام ولا أحمل الموضوع أكثر مما يحتمل.

وكذلك تفضيله لأسماء بنت عميس على عمر بن الخطاب بسبب هجرة الحبشة وأن لها هجرتين أما عمر فليس له إلا هجرة واحدة ! ! فكذلك يدخل الإمام علي في هذا فليس له إلا هجرة واحدة فإن كان مهاجرة الحبشة أفضل بجمع الهجرتين من عمر فهم أفضل من علي كذلك وإن كانوا أفضل في هذه الخصلة فقط فلا يعني تفضيلهم مطلقاً لا على عمر ولا على علي رضي الله عن الجميع .

-6الدكتور والصحابة:

ومن أخطاء الدكتور أنه يجعل بني أمية من الصحابة ويذم الصحابة بما أحدثه بني أمية من تغيير السنن (ص106) وسرد أخطاء مروان بن الحكم ومعاوية وزياد وجعلها من أخطاء الصحابة ! ! مع أن هؤلاء ليسوا من أصحاب الصحبة الخاصة بل ليس منهم من رأى النبي (ص) إلا معاوية لكنه من أصحاب الصحبة

العامة التي لا فضل لها وليس من أصحاب الصحبة الخاصة الشرعية الممدوحة في الكتاب والسنة (وهذا لي مبحث فيه= أقصد في التفريق بين مراتب الصحابة فهناك صحابة أثنى الله عليهم ورسوله وهم المهاجرون والأنصار وهناك صحابة ليس لهم فضيلة الهجرة ولا النصرة ولا الجهاد والإنفاق وإنما أتوا آخر الناس كالطلقاء –ومنهم معاوية ووالده– والأعراب ومنهم ذو الخويصرة الذي اتهم النبي (ص) في عدالته (...وهذا الخلط السلفي السني بين الصحابة سهل على الشيعة ذم السابقين بأفعال اللاحقين وذم البدريين بمظالم الطلقاء وهذا ما كان يتنبه له متقدموا أهل السنة وغفل عنه متأخروهم نتيجة الصراع الفكري والسياسي مع الشيعة. ظاهرة الأخ –وأقول الأخ– الدكتور التيجاني أنتقد فيها حدية تبني الأفكار المغالية وكان يمكنه أن يطرح آراءه في تشيع معتدل دون تكفير للصحابة الكبار.

كان يمكنه تفضيل الإمام علي فقد رأى هذا بعض كبار الصحابة، وكان يمكنه أن يرى أن علياً أولى بالخلافة دون انتقاص لأبي بكر وعمر رضي الله عن الجميع وهذا على أرجح الأقوال كان رأي الإمام علي وسائر بني هاشم وبعض كبار المهاجرين والأنصار لكن هذه الرؤية (الأولوية) لا تعني هضم حق أبي بكر الصديق وإنكار شرعية بيعته واتهامه بالردة والكفر حاشاه.

كان يمكن للدكتور التجاني أن يتبنى رؤية الإمام علي نفسه، يرى لنفسه حقاً –ومن حقه أن يرى ذلك– لكنه مع هذه الرؤية يصلي خلف أبي بكر ثم خلف عمر ويفتي في حضرتهما ويعينهما على تحقيق العدالة ويصاهر عمر بن الخطاب (زوجه ابنته أم كلثوم) ويسمي ثلاثة من أبنائه أبا بكر وعمر وعثمان –إضافة إلى الحسن والحسين ومحمد الأكبر ومحمد الأصغر ومحمد الأوسط والعباس ويحيى وعون وعبد الله وعبيد الله.-

وهذا الجمع بين العتب والمتابعة ملاحظ في حياتنا المعاصرة فقد يرى الشخص نفسه أكفأ من مديره وقد يعتب على من عينوه مديراً له وقد يكون محقاً في كل هذا، لكن هذا لا يتعارض مع انضمامه لفلك الأكثرية والعمل مع هذا المدير على تحقيق أكبر قدر من المصالح واجتناب المفاسد.

هذه خلاصة ما توصلت إليه من علاقة علي بن أبي طالب بالخلفاء الثلاثة لم يكن يراهم كفاراً ولا فساقاً حاشاه وحاشاهم فهو أتقى من أن يتهمهم بهذا وهم أتقى من أن يتهمهم بهذا.

لكن الظروف السياسية والمذهبية التي حدثت فيما بعد هوّلت (العتب) إلى (تكفير) و)المصاهرة) إلى (تقية) وأصبح المفكر الحر داخل المنظومة الشيعية لا يستطيع أن يبدي أدنى اعتراض وإلا أتهمه الغلاة بالنصب ومعاداة أهل البيت...الخ.

ألا تستقيم محبة الإمام علي إلا بذم أبي بكر وعمر وعثمان؟! وسائر الصحابة؟!

أنا لا أؤاخذك يا دكتور في ذم المتأخرين ممن وصف بالصحبة ولم يكن له استقامة كالوليد بن عقبة وبسر بن أبي أرطأة ومعاوية والحكم بن أبي العاص وأكثر الطلقاء والأعراب وهذا الاعتدال يزعج غلاة السلفية.

لكن من حقي أن أؤاخذك وبشدة في تكفير وذم المهاجرين والأنصار الذين أخبر الله عز وجل أنه أعَّد لهم (جنات) وإذا كان الله قد أخبر بذلك فهل يختلف خبره؟! تعالى الله عن ذلك.

يقول الله عز وجل: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه أعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار.(...

صحيح أن الدكتور قد يجيب على هذا بقوله إن في الآية تقييداً بإعداد الجنة للسابقين الأولين وهؤلاء قلة؟

أقول: من السابقين الأولين أبو بكر فكيف نهدر كل هذا السبق من إسلام وإنفاق وهجرة وجهاد و...؟!

ومن السابقين أبو عبيدة وطلحة والزبير وسعد وسعيد بن زيد ثم عمر رضي الله عنهم جميعاً —وحتى أنصفك فالإمام علي عندي أول من أسلم من الذكور مطلقاً وهذا المشهور عند أهل السنة والحديث أيضاً.-

وقد يرد عليَّ الدكتور التيجاني بأن في صحاح كتب أهل السنة أن النبي (ص) يفاجأ يوم القيامة بأخذ بعض أصحابه إلى النار فيقول (يا رب أصحابي أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك!!(

أقول: وهذا ثابت في الصحيحين لكن هذا لا يعني أن نضرب الآية السابقة بهذا الحديث، فالآية في المهاجرين

والأنصار والحديث في الجموع الغفيرة التي ارتدت من الصحابة أيام الردة أو في المنافقين ممن لا يعلمهم النبي (ص) وقد يدخل في هؤلاء من أساء الصحبة من الطلقاء والأعراب الذين ظلموا وغيروا؛ لأن في بعض الطرق (فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي.(

و(التبديل (حذر منه النبي (ص) وقد أخبر بأن بعض بني أمية سيكون أول من (يبدل) سنته كما في حديث (أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية) صححه الألباني وألمح إلى أنه تبديل الخلافة إلى ملك.

لكن نحن لا نجزم بأسماء الذين بدّلوا وغيروا وإن جزمنا –إن شاء الله– بنجاة المهاجرين والأنصار على وجه الجملة وقد يخرج منهم الواحد أو الاثنان أو الخمسة أو العشرة –لأن بعض الأنصار ذكرهم أهل السير في المنافقين– لكن تبقى القاعدة أن المهاجرين والأنصار أثنى عليهم الله في كتابه ثناءً واضحاً فلو اكتفى الدكتور بذم من لم يثن عليه الله عز وجل كمن أسلم من المتأخرين ولم تحسن سيرته لقلنا له دليله وعذره لكن أن يخلط السابقين ويجعلهم في منزلة الطلقاء في التهمة فهذا يخالف ظاهر النصوص القرآنية.

-7التقليد:

فالدكتور ينهى عن التقليد بينما هو يقلد علماء الشيعة كشرف الدين الموسوي صاحب كتاب المراجعات فإنني وجدت كلام الموسوي في أبي هريرة ينقله أخونا الدكتور التجاني دون نظرة نقدية فزعم الدكتور –تبعاً للموسوي الشيعي ولأبي رية السني– أن أبا هريرة أنشأ ديناً جديداً لبني أمية!! من مجاملتهم والعمل لهم ورواية فضائلهم...الخ .وهذا غلو في القول ولا يصح البتة فأبو هريرة من أكثر الناس ذماً لبني أمية وهو راوي حديث البخاري (فساد أمتي على أيدي سفهاء من قريش) ولما سئل عنهم قال: (هم بنو حرب وبنو مروان (–كما جاء في الطرق التي ذكرها ابن حجر في الشرح بأسانيد صحيحة– وهو راوية حديث)تقتل عمار الفئة الباغية) ومن رواة حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه) ولم يصح أنه كان يأكل مع معاوية ويصلي خلف

علي ولا يصح أنه كان مع معاوية في الفتنة صحيح أنه كان يميل في بعض الفترات لبني أمية ميلاً دنيوياً فيتولى لهم الولايات ويفد عليهم لكن كان يخبر بظلمهم وفسادهم ولما استلحق معاوية زياداً كان أبو هريرة يصيح في المدينة المنورة بحديث (الولد للفراش وللعاهر الحجر) فكان على الدكتور التيجاني والشيخ الموسوي إبراز الوجه الآخر المعارض على الأقل.

وأخيراً:

فالقضايا التي طرحها الدكتور التيجاني كثيرة جداً في هذا الكتاب فضلاً عن كتبه الأخرى ولو استعرضناها لطال بنا المقام ولا أزعم أن كل ما طرحه كان خاطئاً فالحقيقة نسبية والرجل صادق فيما يعتقد فهو لا يجامل ويتحدث من عاطفة جياشة وكانت لهذه العاطفة وردة الفعل أثر على تبنيه بعض الأفكار المغالية لكن الغلو مراتب أيضاً وليس كغلو الأستاذ صالح الورداني مثلاً.

وأنا أعرف أن هذا الرد قد يغضب منه الدكتور التيجاني فأنا أعرف شدة عاطفته –من كتابه– كما قد لا يرضي بعض غلاة السنة لكنني أحتسب إلى الله عز وجل جمع هذه الأمة على ترتيب الأولويات وعسى أن أتمكن مستقبلاً من حوار موسع مع الدكتور التيجاني مذكراً إياه بما قاله السيد الخوئي ونقله التيجاني في كتابه ص51 إذ يقول: (المسلمون أخوة سواءً كانوا شيعة أم سنة فهو يعبدون الله وحده لا يشتركون به شيئاً وقرآنهم واحد ونبيهم واحد وقبلتهم واحدة.(...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

[1] ثم اهتديت (ص17.(

[2] ثم اهتديت (ص30.(

[3] ثم اهتديت (ص33.)

[4] ثم اهتديت ص100.